

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

من شؤون اللغة العربية

في وزارة المعارف

في وزارة المعارف اليوم دعوة ناشطة للعناية باللغة العربية . ويعلم قراء صحيفة دار العلوم أن لجنة تألفت في وزارة المعارف في العام الماضي للنظر في وسائل النهوض باللغة العربية ، وكان من بين ما قررته من مسائل ، أن النبكير بدراسة اللغة الإنجليزية في المدارس الابتدائية قبل أن يحصل التلميذ شيئاً من اللغة العربية هو عامل ذو أثر في ضعف المستوى المأمول أن تبلغه اللغة العربية ، ولذلك اقترحت اللجنة أن يكون من وسائل النهوض تأخير دراسة اللغة الإنجليزية إلى سن خاصة ، حتى يتأتى للتلميذ أن يباغ في دراسة اللغة العربية مبلغاً ما ، قبل أن يبدأ في دراسة غيرها من اللغات .

وهو رأى له خطره وقيمه ، وله براهينه وتجاربه التي يستند إليها ؛ لذلك عنت وزارة المعارف بدراسته وتأليف اللجان لبحثه ، وتمحيص الرأي فيه . وكان آخر خطوة في هذا السبيل أن دعت وزارة المعارف طائفة مختارة من نظار المدارس وبعض مدرسي اللغة الإنجليزية إلى اجتماع برئاسة معالي الوزير ، يداولون فيه الرأي في هذا القرار . وتبادل المجتبعون الرأي فيما اجتمعوا له ، فقال منهم قائل :

إن تأخير اللغة الانجليزية إلى سن خاصة لن يجدى كثيرا على اللغة العربية ،
إلا إذا جدد معلو اللغة العربية طرائقهم في تدريس هذه اللغة .

هذا رأى — وفيه تعريض بمدرسى اللغة العربية في طرائقهم — قد نبه
صاحب المعالى الوزير إلى ضرورة دعوة طائفة من أساتذة اللغة العربية إلى
اجتماع آخر برياسة معاليه ، ليروا رأيهم كذلك ، وناقشوا رأى غيرهم .

وهو تصرف محمود يستدعى التنويه والذكر . وكان موعد هذا الاجتماع
فى مساء الخميس الماضى (٢٠ إبريل سنة ١٩٣٩) وقد دعى إليه طائفة من نظار
وناظرات المدارس الثانوية والابتدائية وبعض مدرسى اللغة الانجليزية ، إلى
نخبة من مدرسى اللغة العربية ومفتشىها .

ويهمنا فى هذه الكلمة التى تصدر بها هذا العدد من صحيفة دار العلوم أن
نلخص بعض ما دار من الحديث فى هذا الاجتماع الذى لم يؤت ثمرته بعد :
بدأ معالى وزير المعارف حديثه إلى المجتمعين قائلا :

إن الاجتماع الذى دعوت إليه منذ أيام لبحث دراسة اللغة الأجنبية فى
المدارس الابتدائية قد أثار مسائل تتصل بدراسة اللغة العربية ، فقد رأى بعض
المجتمعين — وأراه معنا فى هذه الليلة — أن فى تأخير دراسة اللغة الانجليزية إلى
مابعد العاشرة حرمانا للتلاميذ الفرق الأولى فى المدارس الابتدائية من متاع
ولذة ، يجدونها فى الانجليزية ولا يجدون فى اللغة العربية تعويضا منهما ، إن
ضعف التلاميذ فى اللغة العربية لا يرجع إلى مزاحمة اللغة الأجنبية لها ، وإنما
يرجع إلى طريقة تدريس اللغة العربية نفسها . هذا ما قاله بعض المجتمعين ،
وإذ كان من قصدى دائما أن أعمل على تحرى صواب رأى بالمشاورة ، فقد
رأيت أن أجمع بكم الليلة لتحدث وتبادل رأى فى لغة البلاد ، وطرائق
تعليمها ، فهى مقوم من مقومات الحياة الوطنية ، وهى أقوى عماد فى بناء القومية ،
وكل بحث فيها هو خدمة وطنية كبرى .

قال بعض المجتمعين من نظار المدارس الثانوية : الحق أننى لم أقصد بما قلت فى الاجتماع الماضى أن أحط من قيمة المجهود الذى يبذله مدرسو اللغة العربية، فهذا شيء لا أعنيه ولا ينبغي لى، ولكنى أردت أن أسأل : لماذا يجد التلميذ فى دراسة اللغة الإنجليزية من اللذة والمتاع مالا يجد مثله فى دراسة اللغة العربية ؟ ولماذا يجد فى اللغة الإنجليزية من التشويق والجاذبية مالا يجد فى العربية ؟ أياكون سبب هذا هو الكتب ، أو طريقة التدريس ، أو طبيعة اللغة، أو عدم تجانس القوى بين تلاميذ السنة الأولى فى المدارس الابتدائية ؟

هذه أسئلة عنت بالبحث عن جوابها فى هذه الفترة بين الاجتماعين، فعرفت أن من أسباب ذلك ، عدم تجانس القوى بين التلاميذ فى الفرق الواحدة ، فالتلاميذ الذين يقبلون فى السنة الأولى بالمدارس الابتدائية أنواع ثلاثة : نوع أتم دراسته فى رياض الأطفال ، ونوع أتى من المدارس الأولية، ونوع ثالث أدى امتحان القبول فى المواد التى حددها المنهج ، فنجح فى الامتحان . هذه الأنواع الثلاثة لا تكون وحدة متماثلة فى فرقة واحدة، ومن هنا كان المعلم فى طريق بين طريقين : إما أن يهمل التلميذ الضعيف ليمضى بالتلميذ القوى على منهاجه ، وإما أن يوجه عنايته إلى الضعيف فلا يجد التلميذ القوى أمامه عملاً ، فيركبه الكسل ويتعود الإهمال .

ثم هذه الكتب العربية التى تصرف للتلاميذ فى مختلف المواد بلغة لا يستطيعون أن يقرءوها أو يفهموها، أو يجدوا فيها ما يشوقهم إلى القراءة والمطالعة . هل من سبيل إلى إصلاحها ؟ لماذا لا تكون كل الكتب الدراسية فى الفرق الأولى على أسلوب القصة حتى يحبها التلاميذ ويقبلوا عليها ؟

لقد رأيت يوماً بين يدي ولدى قصة يقرؤها، فأرأيت مرة يقبل على المطالعة بشوق ولذة كما رأيت يومئذ، وهذه تجربة يمكنكم أن تتحققوا منها فى بنيتكم وبناتكم، فلماذا لا تكون كل الكتب التى تصرف لتلاميذ الفرق الأولى على هذا الأسلوب ؟

إننى أعجز أحيانا عن فهم عبارات وأساليب فى كتب الجغرافيا والحساب وغيرهما مما يصرف لتلاميذ المدارس الابتدائية ، فإذا يصنع التلميذ نفسه ؟

وانتهى القائل من حديثه ، فأخذ المجتمعون يداولون الرأى فيما يمكن اتخاذه من الوسائل لتحقيق التجانس بين قوى التلاميذ الذين يقبلون فى المدارس الابتدائية ، وعرضوا للنظر فى برامج رياض الأطفال ، والمدارس الأولية ، وامتحان القبول .

وجىء لمعالى الوزير بنماذج من الكتب المقررة على تلاميذ السنة الأولى فى مختلف مواد الدراسة ، فأشار إليها معالى الوزير متسائلا : كيف تصرف هذه الكتب لتلميذ فى السنة الأولى ؟

قال قائل : هذه الكتب ليست من عملنا .

فأجاب معالى الوزير : لست أريد أن أنسب العيب إلى أحد ، ولكنى أسأل : ما فائدة التلميذ من حمل هذا المقدار من الكتب ؟ قال القائل : فائدة ذلك ونتيجته أن يعرف التلميذ من أول يوم يدخل فيه المدرسة أن الكتب لا فائدة لها ؛ لأنه لا يتعلم منها ، ثم تكون نتيجة ذلك ألا يتخذ الكتب إلا كما يتخذ أداة من أدوات الزينة ، ومن هنا كانت الشكوى العامة من عدم إقبال متعلمينا على القراءة فى المدرسة وبعد المدرسة . ولو أن التلميذ وجد فى أول كتاب يأخذه من المدرسة ما يحمله بالانشويق والحيلة على القراءة ، لتعود المطالعة ، ووجد لذته .

واتفق المجتمعون على أنه يجب أن تكون الكتب من السهولة بحيث تحمل التلميذ على القراءة وحده ، وأن يراعى فيها أن تكون جميعها على أسلوب قصصى ما أمكن ذلك .

ثم أذن لأساتذة اللغة الإنجائزية فى إبداء آرائهم ، فتحدث اثنان من نظار المدارس الابتدائية ، فاتفقا على الرأى بأن اعتبار اللغة العربية لغتنا ، والإنحاء

على مدرسي اللغة العربية بسبب ذلك ، هو خطأ ، وردا أسباب ما يريان من ضعف في اللغة العربية إلى عوامل عدة : منها مزاحمة اللغتين العامية والإنجليزية ، ومنها الكتب ، ومنها المناهج ، ومنها البيئة العامة التي يعيش فيها التلاميذ المصريون ، ثم قررا رأيهما في وجوب تأخير دراسة اللغة الانجليزية إلى السنة الثالثة الابتدائية .

وتناول البحث في أثناء ذلك موضوع النشاط المدرسي وأثره في التعليم ، وعدد الكتب التي توضع في أيدي التلاميذ ، ومسألة اتصال اللغة بالحياة العامة ، وتقريب الحضارة القديمة ومظاهر الحياة الحديثة من عقول التلاميذ ، وإثارة الألفاظ الصحيحة السهلة على غيرها . وهنا أبدى معالي وزير المعارف رأيه بأن يبدأ بتعليم التلاميذ اللغة الصحيحة السهلة ، وألا يلزموا ضبط أواخر الكلمات ، إلا بعد تحصيل قدر كبير من اللغة .

وتحدث بعد ذلك أستاذ من أساتذة التربية فأفاض في حديثه عن جهود مدرسي اللغة العربية ، وعن العوائق التي تعترض سبيلهم ، ثم عن تجارب يعالجها هو في تدريس اللغة العربية ، ويؤمل أن تأتي قريبا بأطيب الثمرات . وتحدث بعد ذلك عن تقسيم اللغة العربية إلى فروع من : قواعد ، إلى مطالعة ، إلى إنشاء ، يقترحها العدول عن هذا التقسيم ، وتدريس اللغة العربية كلها على أسلوب واحد ، مبدأ بالمطالعة في كتب قصصية سهلة مشوقة ، يتعلم التلميذ منها اللغة بكل فروعها ، من غير تقسيم قد يحمل بعض التلاميذ على اعتبار كل فرع منها مادة واحدة . ثم قال : إن مدرسي اللغة الانجليزية يخافون حالهم عن مدرسي اللغة العربية ، فهم يدرسون لغة قد تعب أهلها وتفننوا في طرائق تعليمها ، وما يزال كل يوم يجد جديد في هذه الطرق ، فليس عليهم من جهد إلا أن يسترشدوا بما وضع أهل هذه اللغة من طرق ، ويستخدموا ما وضعوا من كتب ، أما اللغة العربية فما يزال أهلها يجربون تجاربهم ، معتمدين على أنفسهم ، لا تأتيهم المعونة من قريب ولا من بعيد .

ثم اقترح أن يجمع عدد من المبرزين في اللغات لوضع كتب وافية بالغرض.
 ثم تبادل الكلام بعض أساتذة اللغة العربية عن جهودهم، منكرين دعوى
 ضعف اللغة العربية، مستشهدين بنتائج الامتحانات في هذه المادة بالقياس إلى
 غيرها من مواد الدراسة، معلنين استيائهم من بعض ما ينسب إليهم من قول
 مردود، وأفاضوا في الحديث عما يلقون من متاعب العمل، وقلّة التقدير، وإلحاح
 المدعين عليهم بالأباطيل، فقد خلقوا من ضعف التلاميذ قوة، ومن ذوات
 الخفر والحياة شخصا يكتب ويخطب، ويحاضر وينظر، وإن اللغة العربية
 قوية بنفسها وبالقائمين عليها.

ورد معالي الوزير قائلا:

يخطيء من يظن منكم أنني دعوتكم هنا لأقول: إن منكم من يقصر في واجبه.
 إننا جميعا مجندون في العهد الجديد لأداء رسالة في الحياة أعظم خطرا من رسالة
 سابقينا. ولما كانت اللغة العربية هي أساس الحياة العربية، وهي صلة مصر
 بالبلاد الشرقية، وعليها يقوم الحظ الأكبر من اضطلاعها بواجباتها، فإنني أتجه
 إليها وإلى معلمها دائما. ولا يعني بحثنا في إنهاض اللغة العربية أن في معلمها
 نقصا، فالنقص والكمال قسمة بيننا جميعا، وإنما يعني أننا نريد أن ننقل
 بالحسن إلى الأحسن، شأن الحياة في طريقة تطورها، وأن نهيب الجيل الجديد
 تهية تجعله أعظم قدرة منا ومن سبقونا على أداء رسالته في الحياة.

ثم انتهى الاجتماع على أن يلتقي أعضاء هذه اللجنة في جلسة تالية تحدد
 الوزارة موعدها، لينظر الأعضاء في أمثل الطرق لتدريس اللغة العربية في جميع
 مراحلها: من رياض الأطفال إلى الجامعة. فإذا انتهت هذه اللجنة إلى رأى فيما
 اجتمعت له عرضت مقترحاتها على معالي الوزير لبحثها في اجتماع عام، يضم
 وزراء المعارف السابقين، ورجال الجامعة، وطائفة من المربين، للبلوغ بهذه
 المقترحات إلى المرتبة التي تجعلها أساسا صالحا للسياسة الجديدة التي يرسمها
 معاليه لتدريس اللغة العربية.